المعنى التاريخي لحل المشكلة الكردية



سليمان الفرزلي

كانت فرحة الجماهير العربية والكردية في العراق ، وخارج العراق ، يوم صدور بيان ١١ اذار التاريخي ، اكبر من ان يحيط بها وصف واعمق من ان تفهم للحظتها · لانها بداية تاريخ جديد ومنشأ لحياة وطنية جديدة ·

ولا يمكن ان نفهم اهمية هذا الحدث العظيم ، بمعزل عن فهم القوى التي صنعته ، وخارج نطاق الظروف التي جاءت به سليما من كل عيب ·

واول هذه القوى الجديرة بالفهم ، حزب البعث العربي الاشتراكي بصفته المثل الطليعي لحركة القومية العربية · واما الظروف التي واكبت حل المشكلة الكردية فيمكن حصرها بظروف وجود سلطة وطنية تقدمية في بغداد من جهة ، وبظروف الهزيمة العربية المروعة في حرب حزيران من جهة اخرى ·

ولا يمكن لاي باحث موضوعي ان يستخلص المعنى التاريخي لحل المشكلة الكردية دون فهم طبيعة تلك المشكلة والاطراف المعنية فيها والظروف التي احاطت بها ·

ملاحظات اولية

ولا بد في هذا المجال من تسجيل بعض الملاحظات الاولية :

اولا ، ان المشكلة الكردية ، وان كانت مشكلة على ارض العراق ، فانها مشكلة عربية عامة · ومن طبيعة كونها هكذا ، فانه لا يمكن ان يتصدى لحلها الا حزب قومي يملك نظرية يسترشد بها ويحمل نظرة شاملة يستطيع من خلالها الاجابة على كل سؤال ·

ثانيا ، ان المشكلة الكردية لا يمكن ان تحل الا عندما يكون القادرون على حلها في السلطة ، لان هذا الشرط ضمانة لنقل الرغبات والوعود الى حيز التنفيذ والجدية ·

ثالثا ، ان حل المشكلة الكردية يجب ان ينطلق من فهم الدوافع الوطنية والمشروعة للمواطنين الاكراد عبر نضالهم الطويل للحفاظ على هويتهم القومية وثقافتهم وتراثهم ·

رابعا ، ان الحل السليم هو الذي يضع التناقضات في موضعها الحقيقي · اذ ان التناقض لا يقوم بين مصالح الجماهير العربية ومصالح الجماهير الكردية ، بل بين مصالح هذه الجماهير كلها من جهة وبين الاستعمار والرجعية من جهة ثانية · فقد كانت الرجعية الكردية على الدوام حليفة للرجعية العربية في سحق واضطهاد الجماهير والقوى الوطنية العربية والكردية على السواء ·

خامسا ، ان وحدة كفاح الشعبين العربي والكردي ، وتاريخهما المشترك الطويل ، مسالة لا يمكن تجاوزها او التغاضي عنها ، او تزييفها وطمسها ·

الجذور الايديولوجية

ان المشكلة الكردية لم تغب يوما عن فكر حزب البعث العربي الاشتراكي ، شانها في ذلك بقية المشاكل التي تواجه الامة العربية · فكتابات مؤسس الحزب الاستاذ ميشيل عفلق ، حتى قبل نشوء الحزب كحركة تنظيمية جماهيرية ، حافلة بالمعالجات النظرية لهذه المشكلة في ردوده على اسئلة الطلاب الاكراد في دمشق يوم كان مدرسا في مدارسها ·

كما ان مؤتمرات الحزب القطرية والقومية طرحت المشكلة الكردية طرحا موضوعيا ينطلق من نضاله ومن عقيدته القومية الانسانية الاشتراكية الديمقراطية ·

فكان الحزب يعتبر ان الاضطهاد القومي ظاهرة ملازمة للانظمة الرجعية المرتبطة بالامبريالية العالمية ، وان التآخي والتضامن بين القوميات ظاهرة ملازمة للانظمة المعادية للاستعمار والرجعية · وعلى هذا الاساس كان حزب البعث على الدوام يحترم المطامح القومية للجماهير الكردية بمحتواها الوطني التقدمي ويعتبرها حقوقا انسانية مشروعة ، ويقدر العلاقة المتينة بين تحقيقها وبين قوة وسلامة مسيرة الجماهير الشعبية العربية باتجاه تصفية مخلفات الاستعمار والتفرغ الكامل للمعركة المصيرية الراهنة في فلسطين ومواصلة الكفاح التاريخي من اجل تحقيق اهداف الامة العربية في الوحدة والحرية والاشتراكية ·

يضاف الى ذلك نظرة الحزب الى واقع الامة العربية نفسها · فالامة العربية المهددة بوجودها القومي من قبل الغزو الصهيوني ـ الامبريالي ، لا يمكن ان تكون عامل تهديد للوجود القومي للشعوب الاخرى ·

لماذا البعث

وليس هناك من شك في ان الحركة الوطنية الكردية ، ادركت من سياق تجربتها الطويلة في مختلف العهود التي مرت بالعراق ، ان حزب البعث العربي الاشتراكي هو القوة الوطنية الوحيدة التي يمكنها ان تحل هذه المسالة حلا جذريا ونهائيا ·

ان قدرة حزب البعث على حل المشكلة الكردية لا تقوم فقط على اساس انه الحزب الحاكم ، بل على اسس اخرى ليست اقل اهمية ·

فهو جزء اساسي من الحركة الوطنية في العراق بالاضافة الى انه

بعد هزيمة حزيران لم تعد الجماهير العربية تصدق ما يقال إلا بمقدار ما يعكس ذلك حقيقة وطنية في الداخل